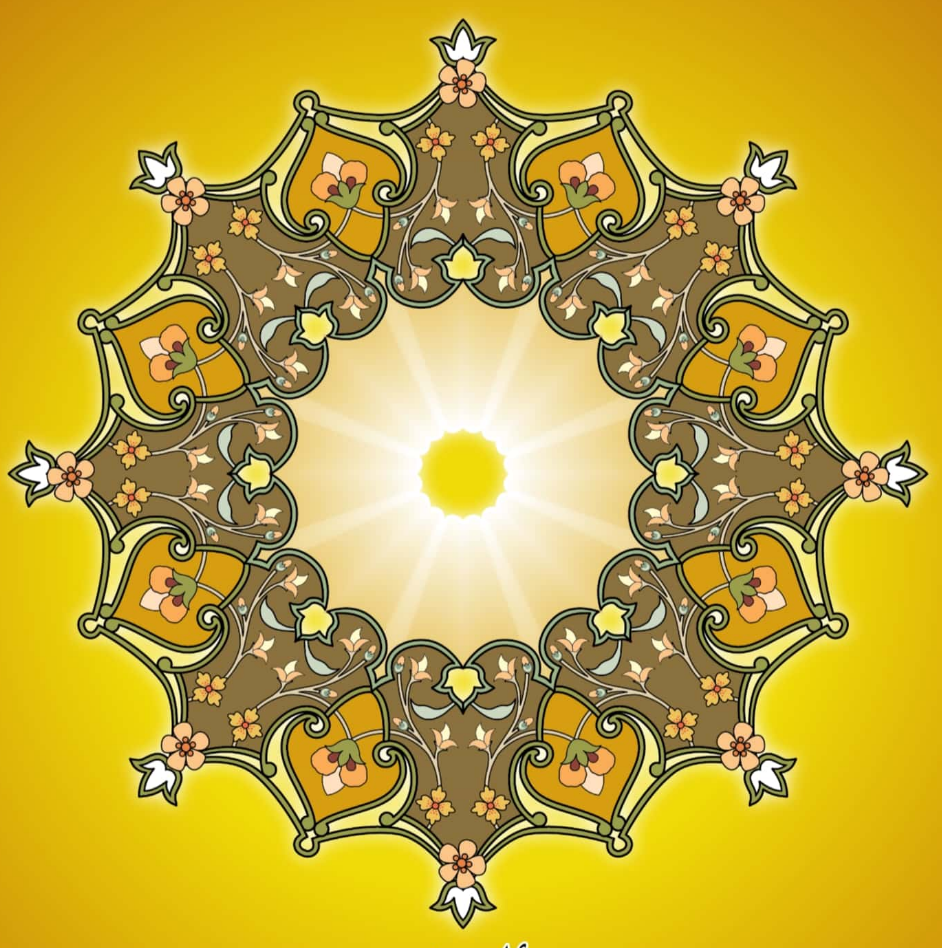
المثل الأعلى

للشباب المسلم



تأليف:

علي الطنطاوي





النادي الشبابي





دار البشير

دار المنارة

المثل الأعلى

للشباب المسلم



المثل الأعلى للشباب المسلم



تأليف:

علي الطنطاوي

• بسم الله الرحمن الرحيم •

1417 هـ ـ 1997 م

☐ الكتـــاب : المثل الأعلى للشاب المسلم .

☐ الكـاتـب : الشيخ / على الطنطاوى

☐ الطبعـة : الأولي ـ مصر .

☐ النـاشـر : دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا ـ مصر ،

دار المنارة ـ جدة .

☐ التـوزيع : دار البشير ـ طنطا ـ أمام كلية التربية النوعية

☎ 322404 فاكس 331800 - 228277

☐ التجهيز الفني : شركة الندي للتجهيزات الفنية ـ المحلة الكبرى ص.ب 265

☐ الإيداع القانوني: 1608 / 1995

☐ الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 5635 - 00 - 4

المقدمة

لا إله إلا الله ، ما أعجب تصريف الأقدار ، وجلّ جلال المقدّر . هل كان يخطر على بالي يوم ألقيت هذه المحاضرة أني سأعود إليها بعد سبع وخمسين سنة لأعدها في رسالة مفردة ؟

أين بيروت التي ألقيتها فيها من بيروت اليوم ، سلوا من عرَفها تلك الأيام ، ومن يعرفها الآن ، لقد بُدلت أنا وتبدل كل شيء من حولي ، فلا الدنيا في لبنان تلك الدنيا ، ولا الناس هم أولئك الناس .. كنت شاباً أكاد أتفجر من الحماسة ، وأكاد من النشاط ألا تمس قدماي الأرض التي أمشي عليها حين أمشي ، فصرت شيخاً دخلت في السادسة والثمانين .

كنت يومئذ مدرساً في الكلية الشرعية في بيروت ، التي صارت تدعى (أزهر لبنان) وكان مديرها – الأخ الوفي الذي وجدت من نبله وفضله ما لم أنسه ولن أنساه

إن شاء الله الأستاذ محمد عمر منيمنة ، وكان فيها الأستاذ الداعية إلى الله ، الذى بلغ الغاية فى الإخلاص والجرأة وما أعطاه الله من قوة الإيمان وقوة الجسد الشيخ صلاح الدين الزعيم ..

وكان من صغار تلاميذها العالم الشهيد ، السعيد إن شاء الله ، الشيخ المفتى حسن خالد ، والأديب القصصى الأستاذ سهيل إدريس ، وكان الرئيس الأعلى للكلية مفتى لبنان ، الذى رفع من مكانة الإفتاء بما أوتيه من الجرأة والإخلاص : الشيخ توفيق خالد .

رحم الله من مات ممن ذكرت ، ومن نسيت فلم أذكره هنا ، ووفق إلى الخير من بقى ، وختم بالصالحات أعمالهم وعملى ، وجعل ما كتبت وما خطبت من ستين سنة إلى الآن فى صفحة حسناتى « علي قلتها » يوم توزع الصحف .. ورحم الله من قال من القرّاء آمين .

علي الطنطاوى

مكة المكرمة : غرة جمادى الآخرة 1412 هـ

المثل الأعلى للشاب المسلم

خلاصة محاضرة ألقيت في بيروت سنة 1937 م

كلما أراد الشاعر الفرنسى الأشهر بول ڤاليرى أن يحاضر ، بدأ بتعريف مدلول الكلمات التى يتألف منهاعنوان المحاضرة . وهذه هى عادة أجدادنا ، إذا أخذوا فى الكلام على علم من العلوم ، أو مطلب من المطالب ، فليس عليّ إذن من بأس ، إذا اتبعتها هذه الليلة ، فبدأت محاضرتى بتعريف المثل الأعلى ، والكلام على صفات الشباب الأساسية ، وتلخيص القول فى الإسلام ..

* * *

إنه ليس فيكم « أيها السادة » من هو راضٍ عن حالته ، مطمئن إليها ، وليس فيكم من لا يتصوّر حالة

خيراً منها ، فإن كـان عالماً فكر فيـمن هو أعلم منه ، وإن كان غنيا تصور من هو أغنى ، فإذا صار مثل من يتصوره من الأغنيـاء ، أو يفكر فيـه من العلمـاء طمح إلى درجـة أعلى ، ومنزلة أسـمى ، لا يكاد يبلغها حتى يزهد فيـها ، ويطمع فيما وراءها .

وإذا أنتم استعرضتم أعلم العلماء ، وأجمل الفتيات ، وأبهى الريـاض ، وأبرع الصـور ، وأفـخم البنـى ، لرأيتم الذهن االبشـرى ، يتخيل على أهون سـبيل ، عالماً أكـبر ، وفتـاة أجـمل ، وروضـة أبهى ، وبنيـة أفـخم ، وصـورة أبـرع .. ثم يبـالغ فى التخـيل حتى يسـتقـر على مرتـبة ، ويثبـت فى منزلة ، لا يرى فوقـها منـزلة ، فـتكـون هـى « المثـل الأعلـى » .

فـالمثل الأعلى إذن ، هو أسـمى مـا يتـصـوره العـقل البشـرى ..والمُثُل تتعـدد بعدد الناس ، فلكلٍ مـثله الأعلى فى الحياة ، وعدد الأشيـاء فلكلٍ صورته الكاملة ، ولكنها تجتمع كلها على افتـراقها ، وتتـحد على تعددها ، أشـياء ثلاثة نبَّه إليـها أفـلاطون وأخـذ بها الـناس فى كل عصـر

ومِصر ، وأجمعوا على إجلالها ، واتخاذها مثلهم العليا ، وغاياتهم السامية ؛ وهنَّ : الحق والخير والجمال .

أما الشباب .. وهل أحتاج إلى تعريف الشباب ؟

الشباب الحياة ، والحياة الشباب ، (روائح الجنة فى الشباب) (1) .

خَلَق العيش فى المشيب ولو كا

ن نضيراً وفى الشباب جديده (2)

الشباب يا سادتى الواحة الفريدة فى صحراء الحياة ، وهو الربيع فى سنة العمر ، هو البسمة الوامضة على ثغر الزمان القاطب.

لست أعنى هذا الشباب الغض الغريض ، الحلو الناعم ، الذى يجرح خدَّيه لمس النسيم ، ويدمى بنانه مسٌ

---

(1) أبو العتاهية . (2) البحتري : والخَلَقُ . العتيق .

الحرير ، والذى تَرِقُّ عنده الحياة ، حتى تسيل من العيون نظرات ساحرة مغرية ، وتدق جلائل الأعمال فيها حتى تستحيل إلى فكرة ، تطير كالفراشة بين أزهار الجمال ، فى روضة الحب ، أونسمة معطرة تهب من حواشى فتاة فتانة ، أو قبلة فيها خمر وعسل ، تجمع لذائذ الدنيا فى رشفة مسكرة ..

لست أعني هذا الشباب الفاتن المتأنث الذى يعيش للهوى والأحلام ، ويبدأ تاريخ حياته بالحاء (ح) فلا يلبث أن ينتهى بالباء (ب) ...

إنما أعنى الشباب الحىَّ العامل ، القوى المتين ، الذى وضع له غاية فى العيش أبعد من العيش ، ونظم نفسه حلقة فى سلسلة شعبه ، واتخذ له مطمحاً ، ومثلاً عالياً ، ثم عمل على بلوغه ، وسعى إليه باندفاع الصواعق المنقضة ، وقوة العواصف العاتية ، وثبات الطبيعة ، وألقى فى سفر حياته الراء بين الحاء والباء ؛ وهل الحياة إلا حرب

دائمة ونضـال مستـمر ، وتنازع على البقـاء ، وتسابق إلى العلاء .

لايبقى غير الصالح ، ولا يصلح غير القوى ..

هذه هى الحقـيقـة الباهرة ، هذا هو القـانون المقدس الذى لا يلغـيـه برلمان ، ولا يعـبث به إنسـان ، ولا يخـرج عليـه إنس ولا جان ولا حـيوان ، لأنه من قـوانين الله التى كتبها على صفحـة الوجود ، يوم أخرجه من العدم ، وقال له : كن . فكان .

الجراد يأكل البـعوض ، والعصـفور يفتـرس الجراد ، والحيـة تصطاد العصافير ، والقنفـذ يقتل الحيـة ، والثعلب يأكل القنفـذ ، والذئب يفتـرس الثـعلب ، والأسـد يقـتل الذئب ، والإنســان يصطاد الأسـد ، والبعــوض يميت الإنسان هذه هى السلسة الخالدة لا تبديل لها ولا تغيير .

إما أن تقتل الأسد ، وإما أن يقتلك البعوض .

فيا شباب ! لا يغلبكم البعوض ، ولكن اغلبوا الأسود !

* * *

الحق ثقيل ، ولكن الحق أحق أن يقال ، فأرجو ألا يغضب مَن ههنا ممن يحسبون أنفسهم شيوخاً إن خاطبت الشباب ، وقلت : إن المستقبل للشباب .

ولكن من هم الشباب ؟ :

يصف أندريه موروا الشباب بالرغبة الأكيدة فى حياة العاطفة والحب ، وحياة الحماسة والبطولة ، أى بالمجون والاستهتار ، والميل إلى الإصلاح ، والإخلاص للمبدأ والزعيم ، والاندماج والفناء فى المجموع (فى الجمعية أو الحزب أو الأمة) ، وبأنهم أدنى إلى المثل العليا ، وبأن شعارهم الإقدام والتعجل والسرعة وبعض الأناة والانتظار [1] .

---

(1) أندريه موروا ، في كتاب (طريق السعادة) وهو مجموعة من محاضرات في السعادة والزواج والأسرة .

الشباب بهذه الصفـات ، ليس الشباب بورقة النفوس وسـجل الميـلاد ، فكل من مـات قلبـه ، وانطفـأت شـعلة حماسـته ، وضاعت مثله العليا ، وأحسَّ بـأنه قد بلغ مأمله فلم يعدْ له أمل، فهو شـيخ ولو كان فى العشرين من سنه .

وكل من كـان له قلب ، وكانت له آمـال ومطامح ، وكل متحمس مندفع شابٌّ ولو شاب!.

فلا تغـضبوا يا سـادتى الكهول إذا قلت إنَّ المستـقبل للشباب ، ورفـعت من شأن الشباب فإن فـيكم شباباً ولو ابيضَّت لحاهم ورؤوسهم ، وانحنت ظهورهم ، وتجعدت جباههم . هم شبـاب العزائم والقلوب ! وهؤلاء الخاملون من الشباب هم الشيوخ . لا تعـجبوا يا سادتى ، فلقد كان شوقى شاباً فى مطلع شبابه يوم كان شاعر الأمير ، ثم عاد شوقى شـاباً فى كهـولته يوم صـار شاعـر الآمال والآلام ،

شاعر العروبة والإسلام ..

نقى عليَّ تعريف الإسلام ، ولكن من العبث يا سادتى أن أعرِّف الإسلام ، وأنا أحاضر قوماً هم بحمد الله مسلمون ، ولا يكون مسلماً من لايعرف ما هو الإسلام ، ولاصلة له بعلومه ، ولا اطِّلاع له على أحكامه ، ولا وقوف له على أمره ونهيه ، وعند أمره ونهيه.

إن من العبث أن أقول لكم : إن ديننا إيمان وعقائد ، وإسلام وعبادات ، وإحسان وأخلاق ، وسياسة وشريعة ، وإن له فى كل جانب من جوانب الحياة مصباحاً يضىء ، ومناراً يهدى . وإنه لا يفارق المسلم أبداً ، ولا يدعه لحظة . إن كان وحده ، منفرداً بنفسه كان معه الإسلام يأمره بأن يحاسب نفسه ، ويتوب من ذنبه ، ويتأمل فى بديع صنع الله فى نفسه وفى العالم ، ويستدل بالصنعة على الصانع ، وبالأثر على المؤثر . ﴿ **وفى أنفسكم** ﴾ أكبر

الدلائل ، وأقوى الحجج ، ﴿ أَفلاَ تُبصرُونَ ؟﴾ أو لا يتفكر هؤلاء الجاحدون ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيرِ شَيْءٍ أَم هُمُ الخَلِقُونَ ؟﴾ . ﴿ أولم يتفكروا فى أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ ، ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ .

وإن كان المسلم فى المجتمع كان معه الإسلام ، يبين له سبيل الحكمة ، ويدله على صراط الأخلاق المستقيم ، ويأمره بأن يحسن استعمال هذه القوى التى وهبها له الله ، فلا يتبع بها ما ليس له به علم ، ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ .

ولكن يستعملها فى سبيل العلم ، العلم كله حتى الفلك والجيولوجيا وعلم الأجناس ، هذه العلوم من آيات الله . قال تعالى : ﴿ ومن ءاياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات

للعالـمين ﴾ ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ .

ينظم الإسلام العلاقة الاجتماعية خير تنظيم ، ويبنى الأمة أمتن بناء ، يبدأ بإنشاء الأسرة فيجعل لها رأساً مسئولاً ، له حق الطاعة لينتظم الأمر ، وتتم المصلحة ، وعليه واجب العدل والعمل ، وجعل الرجل هو الرأس (1) لطبيعة تكوينه وخلقته ونوع عمله وغايته ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ وجعل على النساء واجباً ولكنه أعطاهن حقاً مثله ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ ورفع من شأن التربية ، وجعل للمربين الأولين ، للوالدين ، أرفع مقام ، وجعل طاعتهما مقرونة بالتوحيد الذى هو رأس الدين وبيت قصيده ودعامة بيته . قال عز من قائل : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه

(1) ومن آيات الله في ملكوته أن الرأس لايكون إلا مذكراً في اللغة وفي الحياة ، ولكن أكثر الناس غفلوا عن الآيات فأنثوه فقالوا بأقلامهم في صحفهم : هذه الرأس ، وقالوا بأفعالهم في بيوتهم : هي الرأس .

وبالوالدين إحسنا ﴾ ﴿ **رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ ووضع خير القواعد وأحكمها للزواج والطلاق والإرث .

وينظم الإسلام أمور الأمة ، ويقيمها على أساس من الفضيلة والعدل . ﴿ **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق** ﴾ .

ويشرع لها القوانين الثابتة المحكمة فى معاملاتها ، والقواعد الأخلاقية السامية فى علاقاتها الخاصة .

ويدعو إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والدليل الواضح والبرهان القاطع ، لا بالإرهاب ولا بالترغيب . ﴿ **يأأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا** ﴾ ودعا المخالفين إلى المحاجة والمناظرة ، وإقامة الأدلة ﴿ **أم اتخذوا من دونه ءالهة قل هاتوا برهانكم** ﴾ ﴿ **أءله مع الله قل هاتوا برهانكم** ﴾ .

وعاب الإسلام التقليد والجمود واتباع الآباء

والأجداد ، وإهمال العقل ، ودفع الناس إلى التفكير ، وإقامة البراهين العقلية والأدلة اليقينية ، أى أنه دعا منذ (1400) سنة إلى الطريقة العلمية التى يفخر بها علماء اليوم ويظنونها من ابتكارهم وأثراً من آثار حضارتهم قال تعالى يذم أهل الجمود وينعى عليهم : ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولَوْ كان أباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** ﴾

إنكم تعرفون هذا كله أيها السادة لأنكم مسلمون وإن من العيب أن ألقيه عليكم فما جئت لأعرّف الإسلام ولا أردت تعريفه ، ولكن أحببت أن أوجه أبصاركم إلى مسألتين مهمتين :

أما المسألة الأولى : فهى أن ديناً يضع للعقل قواعد التفكير ، ويشرع للعلم طريق البحث ، وينظم حياة الفرد وحياة الأسرة ، ويكون هو القانون المدنى والجزائى ، والقانون الدولى ، والأخلاق والفلسفة ؛ إن

ديناً هذا شأنه ، لا يصح أن يعدّ مع الأديان التى لا تتجاوز أحكامها عتبات معابدها ، ولا يجوز أن نطلق عليه ما يطلقونه عليها من أحكام .

فإذا قبلنا بمبدأ فصل الدين عن السياسة مثلاً ، فلا يصح أن نستنتج منه وجوب فصل الإسلام عن السياسة ، لأن الإسلام ليس ديناً فقط ، ولكنه دين وسياسة ، وهل تستطيعون يا سادتى أن تحذفوا سورة « براءة » مثلاً من القرأن لأنها سياسية ...؟

وإن قبلنا مبدأ استقلال العلم عن الدين ، لأن الدين لا يستند إلى البحث العلمى ، ولا إلى العقل ، فلا يصح أن نسحب هذا الحكم على الإسلام ، لأن الإسلام ليس دينا وسياسة ولكنه دين وسياسة ومنطق وعلم ..

هذه يا سادتى حقيقة ظاهرة ظهور الشمس ، ولكن أكثر شبابنا لا يرونها ، خفيت عنهم ، وغربت هذه الشمس من أفق تفكيرهم ، فتخبّطوا فى ظلام ليل أليل ،

فلذلك ترونهم يأخذون كل ما يقوله الإفرنج عن دينهم فيطبقونه على الإسلام، على الاختلاف بينهما، والتباين بين طبيعتيهما..

ولعل من هذا الباب تسمية العلماء برجال الدين، وإنها لتسمية باطلة، فَشَتَتْ على الألسنة، وعمَّ بلاؤها، ونسي المسلمون أنهم كلهم رجال الدين، دين الإسلام، دين المساواة والسمو والعمل، ليس فيه طبقات مميزات من طبقات، وليس أحد أحق به من أحد، وليس فيه جماعة هم وكلاء الله، يحلون ويحرمون، وهم أصحابه الأدنون وأهلوه الأقربون، وغيرهم الأبعدون، ولكن المسلمين كلهم «أبناء النبي وعترته والفارسيين والصينيين، وكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله..» لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى والعلم والقيمة الشخصية: ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى»..

« يافاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئاً » ..

فلا تقولوا للعلماء رجال دين ، ولا تحملوهم وحدهم واجبات الدين ، فإن رجال الدين هم المسلمين كافة . ليس عندنا إلا العلم والتقوى ، فمن كان عالماً عظّمناه وسألناه ، ومن كان تقياً أحببناه وأجللناه ، ومن أخطأ وحرَّف رددناه أو ردعناه ، كائناً من كان ذلك المخطئ وذلك الناقد . ليس الناقد بأقل من تلك العجوز ، وليس المنقود بأجلّ من عمر ! .

هذه المسألة الأولى .

أما المسألة الثانية : التى أحب أن أوجه إليها أنظاركم ، فهى أن الدين على ما يفهمه العلماء من أهل أوربا هو الذى ينظم علاقة الإنسان بالله ، وبما خلق الله من المخلوقات المغيبات وراء المادة وبالعالم الآخر ، فلا علاقة له بالحياة السياسية ولا الأوضاع الاجتماعية ، ولا

بالقوانين والنظم ، ولا يصح أن تبنى عليه الجامعة القومية .

هذا ما يقرره العلماء الذين بحثوا فى هذه الجامعة وطبيعتها وقيمتها ، وفى مقدمتهم (رينان) فى محاضرته المشهورة التى ألقاها فى الصربون سنة 1882 . وهذا صحيح فى الأديان ولكنه ليس بصحيح فى الإسلام ، لأن الإسلام ذاته قوميّه ، ورابطة اجتماعية معنوية ، ليست قائمة على لغة ولا على أرض . ولكن على ما مثل ما يسميه (أرنست رينان) بالإدارة المشتركة ويجعله أساس الرابطة الوطنية .

فليس وطن المسلم مكة ولا المدينة وحدهما ولا البلد الذى ولد فيه ، ولكن وطن المسلم المبادئ الإسلامية ، فحيثما وجدت هذه المبادئ ، وحيثما كان أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فثم وطن المسلم .

وعندى أن الرابطة الإسلامية رابطة ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ معجزة من أعظم معجزات الإسلام ، لأنه أقر

منذ أربعة عشر قرناً المبدأ الـذى اهتدى إليه العقل البشرى سنة 1882 م ، وسار منذ أربعة عشـر قرناً فى الاتجاه الذى يسيـر فيه العـالم اليوم . ولقـد سقط اليوم مـبدأ القومـيات الذى دعـا إليه الرئيس (ولسن) بعـد الحرب ، ونهـضت المبادئ الفكرية الاقتصادية ، فـانقسم العالم كما ترون إلى جبهـات ثلاث : الديمقراطية والشـيوعية والفـاشية [1] . وكمـا أن الشيوعى الفـرنسى أخو الشـيوعى الروسى ولو تناءت الديار وتباينت اللغات واختلفت الأجناس فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان وكيفما كان .

لقـد انتـهـينا من تعـريف المثل الأعلى والشـبـاب والإسلام فلنشرع فى الموضوع :

قلت إن أندريه مـوروا وصـف الشـبـاب بصـفـتـين أسـاسيـتين : همـا الحب والبطولة . أمـا الحب فهـو عمـاد

(1) ذهبت الفاشية وستتبعها الأخريان . أقول الآن : وقد تبعتها الأخرى والثالثة على الطريق .

الحياة وركنها وأساسها ، لا معدى عنه ، ولا منجى منه .

وأحسب أن الشباب الحاضرين ، بل وكثيراً من الشيوخ يصفرون لى وينزلوننى عن المنبر ، إذا أنا قلت لهم : « لا تحبوا » وكيف أقولها ؟ أجننت حتى أقولها ؟ أنا لا أقول : حطموا القلوب ، ودوسوا العاطفة . وماذا يبقى لنا إذا خسرنا العاطفة ؟ .

لقد خسر إدوار عرش بريطانيا العظمى ، ولكنه ربح العاطفة فلم يخسر شيئاً . لقد أنسته عينا مدام سمبسون مُلْكَ إنكلترا ، فهل كان ينسيه هذا الملك الضخم ، وهذا التاج المرصع ، عينى سمبسون لو أنه هجرها [1] ؟ .

العاطفة هى التى تدير دولاب حياتنا ، وتسيِّر أمورنا كلها ، أما العقل فلا يصنع وحده شيئاً . ومن يذكر منكم أنه مشى خطوة واحدة برأى العقل وحده ؟ .

---

(1) سلوه الآن لتروا كيف يعضُّ أصبع الندامة ، على أن باع مجد العمر بلذة ساعة . وترك واقعاً ملموساً لوهم ، وحقيقة قائمة لحلم ! .

العقل ياسادتى فيلسوف أعمى ، حكيم مقعد ، ينادى بصوت خافت ضعيف .. أما العاطفة فهى القوة ، هى النشاط ، هى الحياة .

أنا لا أقول : اقتلوا العاطفة ، لأن فى موتها موتنا ، ولكن أقول إن العاطفة تضيق حتى لا تشمل إلا شخصاً واحداً ، وتنحط حتى تنزل من قلب هذا الشخص إلى ما تحت القلب ، إلى ما تحت ... السرة ! وتسمو حتى تحيط بالمثل الإنسانية العالية ، وتعم حتى تشمل الأمة كلها ، بل الإنسانية جمعاء .

فاسموا بعواطفكم عن مواطن شهواتكم ، وأخرجوا بها من ذواتكم ، وقِفُوها على أمتكم وبلادكم .

أحبوا ، فإن الذى لا يحب لا يكون إنساناً ، واذكروا واحلموا وتأملوا ...ولكن افهموا الحب بمعناه الواسع الذى يشمل كل ما هو حق وخيِّر وجميل ...لا المعنى الضيق العقيم ، الذى لا يتجاوز حدود جسم

امـرأة .

أحبوا ، ولكن ابقوا مسلمين .

إن للمسلم قلباً ، قال الله عز وجل : ﴿ **إن فى ذلك لذكـرى لمن كـان له قلب** [1] **أو ألقى السـمـع وهو شـهيـد** ﴾ ولكن المسلمين يغضون عيونهم وقلوبهم وفروجهم ﴿ **إلا على أزواجـهم أو مـا ملـكت أيمـانكم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هـم العـادون** ﴾ .

أحبوا ، ولكن ابقوا رجالاً .

إن الرجل إذا أحب لـم يبك و يتـذلل ويـأرق الليل ، ولـم يلق شـفـتيـه على قـدمـى المرأة ، كـمـا كـان يفـعل لامارتين ، ولكنه يقوم قائمـاً على مشط رجليه ، ثم يقول لها بعـينيه النافـذتين وعضلاته الحـجرية وإرادته الماضـية ،

(1) مهما كان معنى القلب هنا .

ورجولته البادية : « تعالى ! » .

أحبوا ، ولكن ابقوا أفراداً من هذه المجموعة البشرية التى هى الأمة ، لا يقطعكم الحب منها ، ويعدكم إلى الحياة الفردية الوحشية ، فتنكروا كل شىء ، وتنسوا الدنيا ، وتتجاهلوا الحياة إلا إذا أشرقت عليها نظرة المرأة ، وأضاءت فى أرجائها كلمة منها .

ولا تقيموا الدنيا وتقعدوها ، وتغرقوا الأرض بالدموع لأن الحبيبة المحترمة لم تمنح قبلة وعدت بها ، ولم تصل وقد لوَّحت بالوصل ، تنظمون الأشعار فى هذه الكارثة ، وتنشئون فيها الفصول ، وتبكون وتستبكون ، ثم تنامون آمنين مطمئنين ، والنار من حولكم تأكل البلاد والعباد .

الشعر شعور ، فأى شعور وأى حس فيمن يرى أمة كريمة مجيدة بقضِّها وقضيضها ، ومفاخرها وتاريخها وحياتها وأمجادها تطرد من ديارها وتخرج من بيتها وهى

أمته ، وأفـرادها إخوته لتعطى مساكنهـا إلى أمة من أسقط الأمم : أمة ضـربت عليـها الذلة والمسكنة وباءت بغـضب من اللـه ، وغـضب من الـناس ومن الحـق والفـضـيلة والتاريـخ ، ويرى صدورها مفتحـة للرصاص ، وشيوخها مسـوقين إلى حبـال المشانق ، وشبابهـا فى شعاف الجبال وبطون الأودية يدفـعون الظلم بالدم ، وأطفـالها ونسـاءها بين لصـين : لص ديار ، ولـص أعـراض ، لص يحـارب بالذهب ، ولص يقـاتل بالبارود ، ثم لا يحس بهـذا كله ، ولا يدرى به ولا يفكر فـيـه لماذا ؟ لأن الشـاعـر المسكين مصاب متألم .

ماله ؟ ما مصابه ؟ إن حبيبته لم تعطه خدها ليقبله .

إن العاطفة إذا بلغت هذا المبلغ كانت جريمة .



وما دمنا في حديث الحب فلنوف الحديث حقه .

إن لى تعريفاً قديماً للحب ، هو أنه المُرْقِد (البنج) الذى وضعه الله لتمام عملية التناسل التى لا بد منها لبقاء النوع البشرى ، والتى لا يصبر الإنسان على احتمال قذارتها وآلامها لولا هذا المخدر ، فأول الحب إذاً ووسطه وآخره الاجتماع الجنسى والسلام .

أما الحب العذرى الأفلاطونى العفيف ، فليس إلا إحدى الأكاذيب الجميلة ، التى لا يصدق بها عاقل .

من أجل ذلك يشك العقلاء فى عفاف المرأة المحبوبة ، وينظر المسلمون إلى الحب (إلا لمن تحل له) نظر الريبة .

إنى لألحظ فى وجوهكم معنى الاستنكار والاعتراض ، وأرى فيها بوادر الثورة .

لا يا سادتى .. أنا لا أنتقد الحب ، ولا أشك فى

جماله ، ولكـن أسألكم وأرجو أن تجيبـونى بإنصاف : من هوالذى يسمح فيكم أن أحب زوجته أو أخته ؟.

لا تغضبوا يا سادتي .. فمـا أردت إلا التمثيل فـجاء المثل غليظاً نابيـاً وإنى ليسرنى أن تستهـجنوه ، لأن هذا دليل على أنكم للحقيقة أشد استهجاناً .

فلنعلـن إذاً أن هذا الحب المعـروف اليـوم ، مما يأباه الإسـلام ويتنافى مع المثل الأعلـى للشـابّ المسلم ، ولكن ماذا يصنع الشباب ؟ .

الجواب : يتزوجون .

نعم يتزوجون .

إن حـياة العـزب حـياة خطرة عـلى نفسـه وعلى المجتـمع .

إنه صندوق (ديناميت) يوشك أن ينفـجر فى كل لحظة فـيدمّر سعـادة أسرة من الأسـر ، وينقض دعامـة من

دعائم الوطن . إن حياة العزب حياة فارغة من كل شيء لأنها فارغة من الزوجة ولو امتلأت بكثير من النساء (غير الزوجات) .

إن أفكار العزب ، مهما اختلفت مناحيها وتعددت متوجهة إلى وجهة واحدة ، تسعى إليها بشدة وعنف كما تسعى السيول من كل جهة إلى قعر الوادى ، إنه لا يجتمع عزبان إلا نظما مؤامرة على الأخلاق والعفاف .

وإن قسطاً كبيراً من ثقل التبعة يقع على عاتق الآباء ، فهل فيكم أب مسلم له بنات يكون قدوة طيبة للآباء المسلمين الطيبين ، فيفتش عن شاب صالح جاد فيزوجه بما يستطيع من المهر والنفقات : بخمسين ليرة سورية [1] بثلاثين ، لم لا ؟ أهي تجارة ؟ أتريد زوجاً لبنتك صالحاً تسعد به ويسعد بها ، وينشئان أسرة شريفة

---

(1) كانت الخمسون ليرة يومئذ تعدل في الصرف عشر ليرات ذهبية وكان كيلو الخبز بثلاثة قروش ! والليرة مئة قرش .

مستورة أم تريد ذهباً تبيع به ابنتك ؟ .

هذا دواء هذا المرض العضال .

هذا حل المشكلة . فإذا لم تحلوها اليوم لا تنحل أبداً ، إذا لم تداووا المرض يموت المريض .

فيا وجهاء هذا البلد ، الوجاهة بالعمل النافع ، وبالتقوى والإصلاح، لا بالمال ولا بالفخفخة الفارغة ، ولا بالعظمة الجوفاء ولا بالمراتب العالية ، فاعملوا أو فتنحّوا عن أماكنكم لمن يعمل ! .

وإن من الحماقة التي ليس وراءها حماقة أن تبنى الأسرة الثابتة على عاطفة متبدلة متحولة .

ومن الحماقة أن يبنى الزواج على الحب .

من ذا الذى داره على كثيب من الملح فى طريق السيل ؟ .

الحب فراشة حلوة ، فيها أجمل الألوان ولكنها لا

تعيش إلا يوماً واحداً .

الحب زهرة فواحة ليس لها فى الروض مثيل ، ولكنها تذبل عند أول لمسة .

من رأيى فى الحب أنه لا يكون إلا إذا كان أمل ، وكان مع الأمل حرمان ، كالكهرباء لا تضىء المصباح إلا إذا التقى فيها القطبان المختلفان . أنت تحب المرأة لأنك لا تقدر عليها ، فتسبغ عليها من خيالك ثوباً تراها فيه أجمل الناس ، فإذا قدرت عليها ، وخلعت هذا الثوب عنها ، عادت امرأة كسائر النساء .

انظروا إلى الزوجين الحبيبين فى شهر العسل ، وقد ذهبا يسيحان ينعمان بالخلوة الحلوة ، فى أجمل البقاع ، أو أكبر المدن ، تحسبوا أن السعادة قد جمعت لهما من أطرافها ، ولكن اقتربوا منهما تروا أنها لا تمر إلا أيام حتى لا يجدا ما يتحدثان به ، إلا حديث الأيام الأولى ، يوم كان أمل وكان حرمان ، ثم تمضى الليالى ، وتبلى جدة

هذا الحديث ، فلا يبقى بينهما كلام .

وماذا في لغة الحب ، غير (أحبُّكِ) و (أحبُّكَ) ؟ ردِّدوها مئة مرة فإنكم تنامون .

فلنعلن إذاً أن بناء الزواج على الحب وحده لا يرضاه الإسلام ، لأنه لا يرضاه العقل . فهل نعود إذاً إلى طريقتنا الأولى : تخطب لي عمتي أو خالتي ، وتنتقي لي الزوجة على رأيها ، وأنزل أنا على حكمها ، وأعلق مستقبلي بها ، وأمضي العقد وأمشي إلى حفلة العرس ، ولا أعرف ما لون عين العروس وما شكل أنفها ؟ .

هذه طريقة سقيمة عقيمة ، فماذا نصنع إذاً ؟

ما هي الطريقة المثلى ؟

هي يا سادتي طريقة الإسلام . إن الإسلام منح الخاطب (بعد أن يتم الرضا عنه ، ويرجح جانب قبوله صهراً) أن يرى وجه المرأة وكفيها ، أن يجلس معها

(بحضور وليِّها) هذه هي سنة الدين ، ولكن الآباء جاهلون ، يأبون أن يرى الخاطب الصالح وجه الفتاة ، ثم يخرجونها إلى الأسواق متبرجة متهتكة ، يرى أكثر من وجهها وكفيها الفاسق الخبيث ، وكل من كان في الطريق ، حتى الحمار!

إننا تركنا قواعد الإسلام ، فتركنا الفلاح والنجاح .

هذه هي القصة الأولى للشباب ، وهذا هو المثل الأعلى فيها .

تزوج ثم أحب زوجتك ، وأَوْلِها قلبك ، وامنحها عاطفتك .

أما الصفة الثانية فهي البطولة ، وحظ الشباب المسلمين فيها أوفى من حظوظ شباب الأمم ، وعلى الشباب المسلمين واجب ضخم ، ذلك أن المصلحين كانوا يتلفتون قبل عشرين عاماً ، فلا يرون حولهم إلا ظلاماً لا تسطع في ثناياه بارقة أمل ، ونوماً (أو قل موتاً)

لا ترى فى خلاله أمارة حياة ، وخيبة مستمرة فى السياسة والعلم والعمل ، ثم انجلت الحرب العامة عن جسم واحد ، حاول الأقوياء الغالبون أن يخالفوا فيه سنة الله ونواميسه في كونه ، فيجعلوا الرأس يحيا وحده ، واليدين تعيشان وتفكران على استقلال ، والقلب يصبح إنساناً برجلين ، فقرروا أن تكون هذه الحكومات الكثيرات المضحكات فى بلد مجموع سكانه أقل من نصف سكان لندن (1) فكأنهم جربوا ألا يكون الواحد ربع الأربعة ، بل يكون كل واحد أربعة كاملة ! .

كان المصلح يرى ذلك ولا يرى إلى جانبه ما يبعث فى النفس أملاً أو يحيى فيها رجاء ، فكان يتشاءم ويقنط ، ولكن الزمان يا سادتى قد تحول وختمت يد القدرة المجلد

---

(1) كان في سورية الطبيعية عقب الحرب العامة سبع دول : دولة دمشق ودولة حلب ، ودولة العلويين ، ودولة جبل الدروز ، ودولة لبنان ، ودولة فلسطين ، ودولة شرقي الأردن .

الثانى من تاريخ الأمة الإسلامية ، ذاك الذى سجلت فيه عصر الانحطاط والتأخر ، وافتتحت اليوم المجلد الثالث من التاريخ لتسجل فيه عهد البعث [1] والتقدم . إن المصائب التى اشتدت وآلمت ، وتتالت وتعاقبت ، قد نبهت وأيقظت وحذرت وأنذرت ، فأفاقت شعوب هذا الشرق الإسلامى مذعورة تفتش عن طريق الحياة ، وتبحث عن سبيل العمل ، وظهرت بوادر يقظة قوية ، ونهضة شاملة ، ولكن (يا سادتى) ينقصنا الإيمان بهذه الحقيقة الواقعة ؛ فليكن اجتماعنا هذا تبشيراً بها ودعوة إليها . يجب أن نؤمن بهذه النهضة إيماننا بوجود أنفسنا ، ويجب ألا يبقى فينا متشائم .

لقد نهضنا ، ولكن القافلة تجتاز اليوم أشد مرحلة

---

(1) وضعت كلمة البعث ترجمة لكلمة {renaissance} ومعناها الحرفي (الولادة من جديد) وأنشئت سنة 1930 مجلة رسمية صدر منها خمسة أعداد .

من الطريق ، وأخطر مفازة فى هذه البادية . كانت القافلة تسير نائمة يقودها أدلاء جهلوا الطريق ، وحادوا بها عن المحجة وتنكبوا بها الصراط المستقيم ، فلما سمعت صوت القدر على لسان أولئك الأعلام : الأفغانى ، ومحمد عبده ، والقاسمى ، والشيخ طاهر ، والألوسى ، وسعد ، ورشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، والرافعى وأمثالهم ؛ أفاق منها من أفاق ، فنهض وفتح عينيه من لم ينهض ، وقال كلٌ كلمته ، فوقعت المعركة بين الداعين المصلحين والأدلاء الجاهلين ، وانقسم الناس بينهم أقساماً ، فكانت بلبلة ، وكانت جلبة ، وكان اضطراب ، ولكن القافلة تمشى .. تمشي على الطريق لأنها أفاقت ، ومن أفاق وانتبه لا يتبع دليلاً جاهلاً .

إن هذه النبتة على قوتها مختفية بين مئات الأعشاب الجافة التى بقيت من الموسم الماضى ، إنها ستشق طريقها من بينها وتحيا من دونها ، لأن النبتة الجديدة أمُّ المستقبل :

نصيبها الغد ، وتلك الأعشاب بنت الماضى فستذهب مع الأمس إلى غير ما رجعة .

إن صوت النهضة الجديدة ، صوت الحق ، ضائع فى الصيحات التى تدوى اليوم فى الأسماع صدى للأصوات الماضية لا يلبث أن يخفت ، لأن الصدى ينتهى ، أما الصوت فإنه يبدأ .

* * *

هذه النهضة واضحة ، فآمنوا بها يا شباب ، وانظروا إلى الحياة من ناحية الأمل المشرق الواسع لا من جهة اليأس الضيق القاتم .

إن شبابنا متشائمون : اقرؤوا قصائد الشعراء من الشباب ، إنها مليئة بالآلام ، مغمورة بالكآبة ، غارقة بالدموع . اسمعوا موسيقا الشباب ؛ كلها بكاء ، كلها نحيب : (يا لوعتى يا شقايا ، ضاع الأمل من هوايا ...)

فمـا لشعرائنا ومـوسيقـيينا الشبـاب لا يرون فى الدنيا لذة ولا سروراً ؟ .

لم يبصرون ظلام الليل ولا يرون بهاء الشمس ؟ .

لم يفكرون فـى وحـشـة الخريف ولا يـفكرون فى روعته ؟ .

لم ينتبـهـون إلى عـرى الـشـتـاء ولا ينتبـهـون إلى خشـوعـه ؟ .

إن كل مـا فى الدنـيـا جـميل بهى ولـكن فى عـين الشاب الصحيح القوى .

أمــا المريض ، أمــا المسلـول المحطوم ، فــلا يرى إلا الظلام.

فيا شبابنا داووا نفوسكم من سل اليأس .

* * *

لقد استدار الزمان كيـوم ظهر الإسلام ، واحتضرت

الحضارة وكادت تأتى عليها مادية الغرب ، فتذهب بها كما ذهب بالحضارة الأولى تفسخ الحكومتين الكبيرتين فارس والروم .

إن العالم اليوم بين حجرى الرحى التى تطحن المدنية ، وتتركها هباء منثورا كما تكهن وِلزْ .

العالم بين مادية الغرب وحياته الحديدية الآلية وروحية الشرق الأقصى وفناء الهنود فيما وراء المادة ، ولا سبيل إلى النجاة إلا بالنهج السوى « نهج الإسلام » .

فيا شباب المسلمين تجردوا لأداء الواجب ، وإسماع العالم صوت الإسلام .

إن هذا الدور الذى تجتازه اليوم أمم الشرق الإسلامى ، يشبه دور البعث « الرونساس » فى أوربا ، وعلى الشباب أكبر الوجائب فى هذا الدور .

على الشباب واجب علمى هو أن يبعثوا المكتبة

العربية القديمة بحلل جديدة ، وأساليب مستحدثة .

إن فى هذه الكتب الصفراء علماً جماً ، ولكنه مطمور تحت أنقاض الأسلوب الماضى . فى كتب الفقه مثلاً ما يستنبط منه القانون الأساسى والقانون الجزئى ، والقانون المدنى ، والقانون الإدارى ، وقانون أصول المحاكمات ، ولكن هذه الكتب موضوعة على طريقة لا نسيغها اليوم ، ولا نألفها ولا تصلح لنا ولا نصلح لها ، إن كانت تصلح كل الصلاح فى عهد من ألَّفوها ، فيجب على الشباب أن ينقطع منهم فئة إلى دراسة هذه الكتب وتفهمها ، ومعرفة ما فيها ، واستخلاص موادّها العلمية ، وعرضها بشكل جديد .

إن الأساليب (يا سادتى) أزياء ، وقد تبدل الزى اليوم ، فليأخذ الخياط الماهر هذا الثوب القديم ، وليصنع من قماشه ثوباً جديداً ، على ألاَّ يضيع منه خيطاً واحداً

إن من العار أيها السادة أن ترقى أساليب التأليف فى

كل العلوم ونبقى نحن ، فى علومنا ، على ما كنا عليه .

إن الذين كتبوا هذه الشروح وهذه الحواشى وهذه التقارير عظماء أجلاء ، لأنهم أنتجوا شيئاً وعرضوه على أحسن شكل يألفه عصرهم ، وليس عليهم ذنب ، ولكن الذنب علينا ، نحن الذين لا يؤلِّفون ، ولا يشتغلون ، ولا ينتجون ، وإنما يعيشون عالة على أجدادهم كهذا النبات الطفيلى الضعيف الذى يتمسك بأقدام النخلة الباسقة .

* * *

وإن على الشباب واجباً اجتماعياً هو أن يدرسوا الإسلام ، ويكشفوا عن رأيه فى هذه المعضلة الاجتماعية إن العالم سيضيع بين الاشتراكيين والماليين الفرديين ، ولا طريق إلى النجاة إلا الطريق الأوسط الذى يهبط عن خيالات الشيوعيين وأحلامهم التى لا تتحقق أبداً ، ويترفع عن أفق الماليين الذين يستعبدون الناس بأموالهم ، ويسخرون المجموع لمصلحة الفرد .

وإنى على يقين أن للإسلام القول الفصل فى هذا الباب ، ولكن أحداً من العلماء لم يكلف نفسه عناء البحث عن رأى الإسلام الاجتماعى [1] .

وإن على الشباب المسلمين واجباً أخلاقياً ، هو إنقاذ العالم المتردّى فى مهاوى الرذيلة التائه فى مهامه فى الظلام .

ارفعوا منار الإسلام ، وانشروا مكارم الأخلاق التى بعث نبيكم ﷺ لإتمامها .

أليس من العجيب يا سادتى أن يُسأل النبى ﷺ عن المؤمن : هل يسرق ؟ فيجيب باحتمال ذلك ، وإن كان نادراً ، فإذا سئل : هل يكذب المؤمن ؟ قال : لا . أليس من العجيب أن يجعل النبى ﷺ الكذب ثلث النفاق ، وإخلاف الوعد الثلث الثانى ، ثم يكون فى المسلمين

---

(1) كان ذلك يوم ألقيت المحاضرة من أكثر من نصف قرن ، وقد ظهرت اليوم بحوث وكتب ، جزى الله مؤلفيها خيراً ، ونفع بها .

اليوم من يكذب ويخلف المواعيد ؟ .

أليس عجيباً أن يأخذ الإفرنج غير المسلمين أخلاقنا ، فتكون لهم عادة وطبعاً ، ويضيع المسلمون أخلاقهم ؟ .

أليس عجيباً أن يقول الله فى كتابه : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾ ، ثم يكون فى المؤمنين من هو ذليل فى نفسه . مضيع لكرامته ؟ .

فيا شباب المسلمين تخلّقوا بأخلاق الإسلام وانشروها بين الناس وأنقذوا بها العالم .

الخلاصة

أتحبون بعد هذا أن ألخّص لكم المثل الأعلى للشابّ المسلم ؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين ءامنوا** ﴾ بالله وعلموا أنه الأول والآخر ، وأنه المريد القادر ، وأيقنوا أن كل شىء بإرادته ، لا شريك له فى ملكه ، ولا شفيع عنده إلا بإذنه ولا يعلم الغيب إلا هو ، فلم يغفلوا عنه ، ولم يعبدوا غيره ولم يقدسوا سواه ، ولم ينتظروا النفع والضر إلا منه ، وعلموا أن له جنداً لا نراهم وملائكة وجنّا ، وعوالم لا نبصرها ، وآخرة وجنة وناراً ، وسموات وعرشاً .. وأنه بعث أنبياء وأنزل كتباً .

﴿ وعملوا الصالحات ﴾ فأدوا حق الله عليهم من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وتقربوا إليه بالنوافل والأعمال الحسنة ، وأدوا حق الناس فلم يتعدوا على أحد في ماله ولا عرضه ولا جسمه وأدوا حق أهليهم ووالديهم ومن له فضل عليهم وأدوا حق الأمة بالسعي في نجاحها وتقوية روابطها ، وضمان مصالحها ، والعمل على كل ما يرفع شأنها ، ويعلي مقامها بين الأمم من علم أو صناعة أو زراعة ، أو وعظ وإرشاد ، أو تعليم وتهذيب .

﴿ وتواصوا بالحق ﴾ أوصوا به نفوسهم ، ووصوا به غيرهم ، وتحروه في أمورهم ، فكان الحق إمامهم ، ودليلهم ، ورفيقهم ، وقائدهم ، ولم يكونوا من أنصار الباطل أبداً ، فلا يقبلون من المبادئ والعلوم والفنون إلا ما هو حق لا باطل فيه .

﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ على أداء الواجب وعلى

التواصي بالحق ، واجتناب الباطل والابتعاد عن الرذائل مع منازعة النفس إليها ، وإقبالها عليها (أ) .



هذا هو المثل الأعلى للشاب المسلم : إيمان كامل لا شرك فيه ، وتصديق بكل ما جاء من عند الله ، وعبادات منزهة عن البدعة ، وعمل صالح ينفع الفرد والمجموع ودعوة إلى الحق وتمسك به ، وصبر على تحقيق هذا المنهج ، وأداء هذه الواجبات .

★ ★ ★

(أ) لي تفسير لسورة العصر بعد هذه المحاضرة فتح الله عليّ فيه بما لم أسبق إليه .


النادي الشبابي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	3
المثل الأعلى للشاب المسلم	11
الخلاصة	48


النادي الشبابي



سلسلة « رسائل البشير »

إن عوامل نجاح الدعوة :

* الفهم الدقيق - الإيمان العميق - الحب الوثيق - الوعى الكامل - والعمل المتواصل .

* وفى سبيل الوصول إلى هذه الغاية كانت سلسلة رسائل البشير ؛ لتكوين الفرد المسلم الصحيح الفكر الذى هو دعامة الدعوة إلى الله .

ودار البشير إذ تقدم هذه السلسلة إلى قرائها فى العالم تدعو الله أن ينفع بها المسلمين .